ثم انه لا يمكن الحديث عن « كيان ـــ ثورة » كما يقول الباحث كبديل . ان الكيانية مهما البست من صفات لا يمكن ان تكون بديلا منطقيا لكيان اخر . ان الانجاز القومي ، والفعل القومي ، والنظرية القومية ، من خلال منظور تقدمي ثوري هما البديل لاي كيانية في العالم العربي .

بعد هذا اعود لاقول ان المفاهيمية الخالصة هي كل رأسمال البآحث ، وانه لو اتى ليطبق ما تتضمنه اطروحته على ارض الواقع لوجد حقائق مغايرة ، ولخرج بنتائج مختلفة ومناقضة لما توصل اليه . انه سيجد كيانا اجتماعيا وانتروبولوجيا وديمغرافيا يختلف عن النظام من الناحية الفعالية والطاقة والفعل ، ثم يسبق هذا النظام وجودا وواقعا من جهة التاريخ .

لقد كان تاريخ شرق الاردن تاريخ قبائل ، وتجمعات حضرية ، تحت سلطة الوالي التركي ، كما كان تاريخ لبنان ، تاريخ طوائف ؛ وكما كان تاريخ فلسطين تاريخ قرى ومدن . وعليه فان استلام النظام الهاشمي لهذا الكيان ، وطبعه بطابع معين لا يدين هذا الكيان بتهم النظام ، كما ان عدم بروزه بشكل سياسي محدد ومستقل ـــ او ثورة تحرر وطني ـــ لا ينفي وجود هذا الكيان ، او يبرر مقولة الباحث في اعتباره « كيانا دخيلا طارئا على تاريخ المنطقة » . اذ ان وجوده كواقع كان امرا مفروغا منه ولا اعتقد ان هناك مشقة على اي باحث في اثبات ذلك تاريخيا وعلميا ، وان بقيت مهمة التعبير السياسي عنه اما للنظام (الذي كان له الحظ الاكبر) او للثورة ذاتها ، او لاحزاب قومية . انتظم فيها الاردنيون وقادوها .

لقد كان النظام في الاردن عملية زراعة خارجية ـــ شئنا ـــ لانتمائية خارجة تاريخيا عن واقع هذا الكيان ، وعن حقيقة وجوده ، وسيبقى هذا النظام كذلك مثله مثل « كيان ـــ ثورة » الذي يتحدث عنه الباحث .

انني لا انكر انه بعد مجازر ايلول برز لدى الاطراف جميعها احساس كياني سياسي ونمروي ، وحتى قبل ايلول ، وهو فيما يخص الجانب الاردني كان احساسا محايدا لدى النخبة الغالبة ، وكرد فعل عفوي وطبيعي لبروز كيانية اخرى لم تستطع ان تستوعبه ، بل تحركت مركزيا ضمن دائرة كيانية شبه مغلقة او من خلال رؤيا قومية اجتماعية عاجزة ، وبقيت كذلك ، وما زالت خارج اطار التغيير الدعاوي . وان كان ذلك يعود لاسباب خارجة في بعض الاحيان عن ارادة التحكم بها .

واخيرا اني ادعو الباحث ، باسم كل الاردنيين ـــ الفقراء ، ان يترك التجريبية النظرية ، والتقنين الوطني والثوري من خلال تراكيب مفاهيمية بحتة تخبىء وبالا قوميا ـــ وخاصة قد يستغلها اعداء الجماهير العربية في الاردن ـــ وليذهب الى الاردن وليتعرف على مادة « الكيان ـــ الدولة » ! ليرى حالة الفقر والبؤس التي يعيشها اكثر من ثلاثة ارباع السكان ... وليرى « الكيانية » العربية الاصيلة على ملامح الاجداد المتبقين ، اذا كان التاريخ همه ، او ليرى الاجيال المعذبة التي تتعلم على ضوء فتيل الزيت (السراج) ، وليدخل البيوت التي رصيدها بيض الدجاج ، ووجباتها الخبز والشاي ، اذا كان الواقع مبتغاه . وساعتها ادعوه ان يقارن بين « الكيان ـــ الدولة » او الكيان « النظام » ، اهل العروش والتيجان ومعذبي الصحراء والقرى والارياف الاردنية .

انه سيجد لماذا لم يتشكل في الاردن حزب اقليمي انعزالي يميني خارج حزب السلطة الذي هو حزب ابناء الضفتين . ثم سوف يفاجأ حين يجد كم هم اتباع « وصفي التل » بين الجماهير الاردنية المسحوقة ومثقفيها .

---

(١) كتب ابن خلدون « ان الاردن جزء من فلسطين كما هي فلسطين جزء من الاردن . وكلاهما جزء من بادية الشام ... » (ابن خلدون ، عبد الرحمن ، مقدمة ، طبعة ؟ ، بيروت ، دار احياء التراث العربي ، ص ١٠) .

(٢) **تاريخ شرق الاردن** ، بقلم روكس بن زائد العزيزي

(٣) ديوان « **عشيات وادي اليابس** » ، مصطفى وهبة التل ، تحقيق محمود السمراء .